مجلة "مدارات في اللّغة والأدب" الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث، تبسة–الجزائر.

المجلد:01.العـدد:03. السنة: 2019 ص 337– 350
ISSN 2661-765x

المفارقة في القصة القصيرة جدا

* د. محمد أحمد أنقار

المركز المغربي للبحث العلمي وتحقيق التراث، المغرب.

البريد الإلكتروني: mohamed.anakar@hotmail.com

ملخص البحث

تهدف الدراسة إلى الكشف عن أنماط المفارقة في القصة القصيرة جدا .وتحديدا في قصص "جراب الخيبات" للقاص المغربي عبد السام بوزمور . ولعل المثير في نصوص القاص أنه أبدعها بتأن وبروية، وببصيرة نافذة نحو أعماق حالات إنسانية شتى، وبلغة ناقدة أحيانا وساخرة أحيانا أخرى.

كما أن الدراسة ستركز على مفارقات الذات .وأقصد بالذات؛ ليس بمفهومها البنيوي المحصور في البطل الفاعل داخل النص السردي الساعي نحو تحقيق موضوع ما، وليس بمفهومها الرومانسي المنغلق في الوجدان والعواطف، بل يمكن أن يمتد القصد بالذات إلى السارد، وإلى الشخصيات، وإلى القارئ، مع رصد مختلف العلاقات المحتملة فيما بين هذه المكونات، وبين غيرها من مكونات أخرى من أمكنة وأزمنة، دون إغفال تقنيات القصة القصيرة جدا من؛ إيجاز وإضمار وتهكم وتناص ومحاورة وغيرها، ودون إغفال أيضا للمقاصد وللغايات المعلنة والمضمرة في هذه النصوص الإبداعية.

الكلمات المفاتيح: المفارقة ، السخرية، التضاد ، القصة القصيرة جدا.

Summary:

The purpose of this study is to show patterns of paradox in the very short story "bag of disappointments «of the Moroccan story teller Abdeslam Bouzemour. The most The most amazing thing about it is that it was written with calm and calculation and with a deep insight into various human situations using sometimes a critical and sometines a sarcastic language.

The story focusses on self paradox ,and I don t mean by "self" the active hero in the narrative text nor its romantic concept enclosed in conscience and emotions, but it can go further to mean the narrator himself, the

* المؤلف المرسل: د. محمد أحمد أنقار mohamed.anakar@hotmail.com

characters, the reader....and thus monitoring relationships between these and other components such as places and times; this, without omitting the short story techniques as briefness, sarcasm, interaction etc...nor the stated or the non stated purposes of theses creative texts.
Key words: paradox _ sarcasn_ opposition _the very short story.

تمهيد

تهدف الدراسة إلى الكشف عن أنماط المفارقة في القصة القصيرة جدا. وتحديدا في قصص "جراب الخيبات"[1] للقاص المغربي عبد السلام بوزمور. ولعل المثير في نصوص القاص أنه أبدعها بتأن وبروية، وببصيرة نافذة نحو أعماق حالات إنسانية شتى، وبلغة ناقدة أحيانا وساخرة أحيانا أخرى.

كما أن الدراسة ستركز على مفارقات الذات. وأقصد بالذات؛ ليس بمفهومها البنيوي المحصور في البطل الفاعل داخل النص السردي الساعي نحو تحقيق موضوع ما، وليس بمفهومها الرومانسي المنغلق في الوجدان والعواطف، بل يمكن أن يمتد القصد بالذات إلى السارد، وإلى الشخصيات، وإلى القارئ، مع رصد مختلف العلاقات المحتملة فيما بين هذه المكونات، وبين غيرها من مكونات أخرى من أمكنة وأزمنة، دون إغفال تقنيات القصة القصيرة جدا من؛ إيجاز وإضمار وتهكم وتناص ومحاورة وغيرها، ودون إغفال أيضا للمقاصد وللغايات المعلنة والمضمرة في هذه النصوص الإبداعية.

[1] مطبعة الخليج العربي، تطوان، الطبعة الأولى 2017م.

1. المفارقة والتباس المفهوم

تعد المفارقة من المفاهيم الأكثر التباسا وغموضا، لتعدد دلالاتها ومقاصدها، ولتباين الحقول المعرفية التي اهتمت بها من قبيل: البلاغة والنقد وعلوم اللغة واللسانيات والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس والنظريات البنيوية والأسلوبية والتداولية ونظريات الحجاج.

يعود تاريخ الاهتمام بالمفارقة إلى عهد الإغريق. فكلمة "أيرونيئيا" Eironeia وردت في كتاب "الجمهورية" لأفلاطون. وقد أطلقها سقراط على أحد ضحاياه، وهي طريقة ناعمة هادئة في خداع الآخرين. تفيد كلمة "آيرون" عند ديموستينس Demosthenes، أشهر خطباء اليونان، رجلاً يتهرّب من مسؤولياته كمواطن بادعاء عدم اللياقة. كما تفيد هذه الكلمة عند ثيوفراستس Théophraste، الفيلسوف اليوناني وتلميذ أرسطو وخليفته في المدرسة المشائية الأرسطوطالية، ذلك الإنسان المراوغ الذي لا يلتزم بحال، ويخفي عداوته، ويدعي الصداقة، ويسيء التعبير عن أفعاله، ولا يدلي بجواب واضح أبداً[1]. يضع أرسطو "آيرونيئيا" بمعنى المغايرة التي تقوم على الحط من الذات، بمنزلة أعلى من نقيضتها "آزونيئيا" أو المغايرة التي تقوم على الادعاء؛ فالتواضع، حتى عندما يكون تظاهراً، يدل على حسن التربية أكثر من التفاخر. في الوقت نفسه عادت الكلمة، التي كانت تشير أول الأمر إلى نمط من السلوك، لتنطبق على استعمال اللغة استعمالا خادعا، وأصبحت "آيرونيئيا" الآن صيغة بيانية: الذم بما يشبه المدح، والمدح بما يشبه الذم[2].

يبرز التباس مفهوم المفارقة أكثر في الدراسات العربية الحديثة، خاصة في النقد الأدبي والفلسفة، إذ ثمة تباين واختلاف في ترجمة الكلمتين الأجنبيتين: Paradoxe/Ironie. يرجع هذا التباين إلى فهم كل مترجم ووعيه وثقافته باللغة المترجم عنها.

[1] د.سي ميويك، المفارقة، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1993م، المجلد الرابع، ص 26.

[2] د.سي ميويك، المفارقة، ص 26.

أجمع عدد من النقاد والدارسين العرب، ومنهم سيزا قاسم[1] ونبيلة إبراهيم[2] وعبد الواحد لؤلؤة[3] ومحمد العبد[4] ومحمد سعيد غزالة[5] ونجاة علي[6] ورضا كامل[7]، على أن المقابل للكلمة الأجنبية Ironie/Irony/Ironia هو المفارقة؛ في حين أن هناك من ترجم Ironie بالسخرية[8]، أو بالسخرية الخفية[9]، أو بالتورية الساخرة[10]، أو بالتهكم[11].

فيما فضّل نقاد ومترجمون آخرون، وهم جميل صليبا في معجمه الفلسفي[12] وسعيد علوش[13] وخليل أحمد خليل في ترجمته لموسوعة لالاند الفلسفية[14] و محمد عناني في معجمه[15] وجلال الدين

[1] "المفارقة في القص العربي المعاصر"، مجلة فصول، المجلد الثاني، العدد الثاني، يناير فبراير مارس 1982م، ص 144.

[2] "المفارقة"، مجلة فصول، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، أبريل سبتمبر 1987م، ص 131.

[3] موسوعة المصطلح النقدي، مرجع مذكور، ص 8.

[4] المفارقة القرآنية. دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى 1994م، ص 15.

[5] قاموس الأسلوبية والبلاغة، دار إلغا، مالطا، 2000م، ص 218.

[6] "مفهوم المفارقة في النقد الغربي"، مجلة نزوى، العدد الثالث والخمسون، يناير 2008م، ص 72.

[7] بناء المفارقة. دراسة بلاغية تحليلية، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى 2010م، ص 6.

[8] سعيد علوش، معجم المطلحات الأدبية، مرجع مذكور، ص 110.

[9] عبد القادر المهيري وحمادي صمود، في ترجمتهما للكتاب الجماعي: معجم تحليل الخطاب، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م، 2008م، ص 320.

[10] محمد عناني، معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، مرجع مذكور، ص 75.

[11] خليل أحمد خليل، في ترجمته لموسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، منشورات عويدات، بيروت . باريس، الطبعة الثانية 2001م، ص 708.

[12] دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، الجزء 2، ص 402.

[13] معجم المطلحات الأدبية، مرجع مذكور، ص 255.

[14] مرجع مذكور، ص 935.

[15] معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، مرجع مذكور، ص 75.

سعيد[1] ومراد وهبة[2] ونعمان عبد السميع متولي في كتابه "المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم" [3]، أن كلمة المفارقة تقابل المصطلح الأجنبي Paradoxe/Paradox/Paradoxia.

للمفارقة معان كثيرة قد تتقارب أو تتباعد؛ فهي من بين ما تدل عليه أن صاحب المفارقة يقول شيئا لكن هدفَهُ شيءٌ آخرَ يتناقض مع ما صرَّح به. لذلك فهي تتطلب التنافر بين ما يقال وبين ما يراد إيصاله. من هنا، فهي تحمل معاني الادِّعاءِ والتَّخفي والتظاهرِ والخداع والمكر. كما أن صاحبَ المفارقةِ يرومُ من توظيفها السخريةَ أو التَّهكمَ أو النقدَ أو الإقناعَ أو الدَّحض. بيد أن التنافرَ الواردَ في المفارقة لا يعني أنها تستند إلى غموضٍ يستحيلُ فهمُه، أو إلى ألغازٍ يصعُب حَلُّهَا، بل لا بد للمفارقة أن تتَّسِمَ بقدرٍ من الوضوح الذي من خلاله يمكن كشفُ مقاصدها؛ إذ لا مفارقةَ إن لم يدرك المتلقي أبعادَها وغاياتِها.

تقترن المفارقة بالقصة القصيرة جدا اقترانا يصعب الفصل بينهما، ولعل السبب في ذلك يعدو إلى طبيعة القصة القصيرة جدا التي تنحو في اتجاه الإضمار والإيحاء والإيماء والإيجاز والعمق أكثر من الإفصاح والبوح والامتلاء والحشو والظاهر. فالمفارقة إذن، نوع من الإدراك الذي يغيب عن التفسيرات البسيطة التي تركز على جانب واحد، أو أبعاد منفصلة على بعضها، فتقول له المفارقة حول نظرك إلى أبعاد أخرى، أو إلى الأبعاد كلها في الوقت نفسه. نظرا لتعقد الحياة المعاصرة التي تفرض التفكير بعدة طرائق لمحاصرة قضية ما؛ ما دام الواقع مليئا بالأشياء الخفية التي تكون في الغالب مناقضة لما هو باد للعيان؛ ما يعني أن كل أشكال واقعنا بما فيها الأدب تسير وفق مبدأ

[1] معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004م، ص 439.

[2] المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007م، ص 611.

[3] دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، الطبعة الأولى 2014م، ص 23.

مركب يقوم عليه الواقع، وأن هناك نسقا مضمرا هو الذي يوجه حالات إدراك المبدعين ومنهم كتاب القصة القصيرة جدا إلى هذه الرؤية الجديدة من الوعي[1].

2. مفارقات الذات في "جراب الخيبات"

يقتنص القاص عبد السلام بوزمور في بعض قِصَصِهِ لحظاتٍ إنسانيةٍ حرجةٍ، يمكن القول عنها إنها مفعمةٌ بالتناقض بين اسم الذات وبين سلوكها أحياناً، أو بين أفعال الذات وبين أقوالها أحياناً أخرى. يقول السارد في قصة بعنوان "تقرير":

«مع تباشير صباحٍ رماديٍّ، جلستْ على كرسيٍّ
تتأمَّلُ الشُّرْطِيَّ، وهو يُعِدُّ الآلةَ الكاتبةَ لتحريرِ تقريرٍ
عن حالةِ تلبسِ زوجةٍ بالفسادِ.
رفع طَرْفَهُ نحوها:
س: اسمك؟
ج: ف ... ف ... فضيلة»[2].

يصور المبدع في نصه شخصيتين؛ الأولى، شخصية الشرطي يؤدي مهامه، ربما بإخلاص وبمسؤولية؛ لأن السارد لم يفصح عن أحواله سوى إعدادِه للآلة الكاتبة، ثم الشروع في استنطاق المتهمة. والثانية، شخصية محورية في النص وفي الحكاية؛ الزوجة المتهمة بالفساد. لم يذكر السارد الشيء الكثير عنها، بيد أن بعض التفاصيل الصغيرة، تسعف، إلى حد ما، في لملمة أجزاء الصورة.

[1] آمنة بلعلي، "القصة القصيرة جدا وتحولات ما بعد الحداثة"، مجلة فصول، المجلد (2/25) العدد 98، شتاء 2017م، ص 413.

[2] عبد السلام بوزمور، جراب الخيبات، مصدر مذكور، ص 6.

ولعل أبرز ما يمكن أن نقف عليه، بالإضافة إلى الاسم ونطقها له، فعل تتأمل. المقام الذي وُضِعَتْ فيه الزوجة بتهمة الفساد في حالة تلبس، يدعوها إلى الإحساس بالندم أو بالخجل أو بتأنيب الضمير، إلا أننا نلفيها تجلس، ربما بارتياح وبرضا، تتأمل الشرطي وهو يؤدي عمله، ولعل هذا التأمل، إن شئنا الغوص في دِلالاته، يحيل إلى إمكانية محاولة استدراج الزوجة الخائنة للإيقاع بالشرطي في شراكها، ومن ثم التخلص من الورطة التي وقعت فيها. بيد أن الشرطي بدا منهمكاً في إعداد آلة الكتابة، لم يلتفت إليها، ولم يستغل سلطته، بل رفع طرْفَهُ فحسب مستفسراً عن اسمها.

تمنح المفارقةُ للنصوص القصصية القصيرة جدا بلاغةً نوعية؛ إذ تساعد القاص في الكشف عن تناقض أفعال الإنسان وتقلب أحواله. وقد بدا ذلك جلياً في نص "توازن". يقول السارد:

«في المسجد، اتخذ مكانه خلف الإمام، أدّى صلاة العِشاء في سكينة وخشوع..

في البيت، اتخذ موضعه المعتاد من مائدة العَشاء: سلاطة متنوعة، شرائح لحم.. وقنينة شراب أحمر»[1].

بنى القاص نصه على المفارقة في السلوك، لشخصية وَجَدَتْ توازنها في القيام بالفعل وبنقيضه، دون أدنى شعور بالحرج، أو بالوعي أنه ثمة خطأ ما. يهيمن التقابل على مكونات النص: المسجد في مقابل البيت، والوقوف خلف الإمام في مقابل الجلوس على مائدة الطعام، وصلاة العِشاء في مقابل مائدة العَشاء، وأداء الصلاة في سكينة وخشوع في مقابل الانغماس في العربدة والمحرمات.

[1] جراب الخيبات، مصدر مذكور، ص 26.

بدت العباراتُ مقتضبةً بلغة مباشرة، بيد أنها تنطوي على تهكُّمٍ لاذعٍ ونقدٍ ساخرٍ، ليس فحسب للسلوك المفارق، الدّاعي إلى الاستغراب والاستنكار، بل للقناعة التي رسخت عند ذلك الشخص أن ما قام به هو عين الصواب، وأن تحقيق التوازن النفسي، وربما الروحي، يقتضي منه الجمع بين المتناقضات.

في المنحى نفسه، نلفي نصاً آخر، تبرز فيه المفارقة في أنماط سلوك فئات من المجتمع، تجمع بين الفعل وبين نقيضه. النص بعنوان: "موعد". يقول السارد:

«أشار لي بالجلوس .. واصلَ قراءَتَه القرآن ..

تشاغلتُ بتأمل عبارة "العمل عبادة" المرسومة بخطٍ

جميلٍ داخل إطارٍ ذهبيٍّ فوق مكتبه..

أحسَّ بتَمَلْمُلِي، رفع بصره ثانية.. اشتكى من كثرة

الملفات المتراكمة أمامه.. وقال:

"عُدْ في يومٍ آخر"»[1].

تتفاوت الضمائر الموظفة في النص القصصي من ضمير الغائب يحيل إلى الموظف، وضمير المتكلم المفرد يحيل إلى السارد، وضمير المخاطب "أنت" في فعل أمر "عُدْ". إن الالتفات؛ أي الانتقال من ضمير إلى آخر، أسهم في سرد الأحداث بسلاسة دون ارتباك يذكر، وبجمل فعلية مقتضبة لكنها بإيحاء عميق. نعلم أن الأفعال تدل على الحركة والدينامية، بيد أنها اتخذت في النص منحى آخر؛ تأكيد الثبات والجمود. فالموظف جالس في مكتبه يأبى العمل، ويرفض قضاء مصالح

[1] المصدر نفسه، ص 42.

الناس، منهمك في قراءة القرآن، فوقه عبارة "العمل عبادة" داخل إطار مذهب، يشتكي من كثرة الملفات.

إذا تأملنا الأفعال الخاصة بالموظف؛ أشارَ، وواصلَ، وأحسَّ، ورفعَ، واشتكى، وقالَ، نلفيها في زمن الماضي، وهو إيحاء إلى الجمود. كما أنها توحي إلى أن الموظف يحرص على أن يقوم بأقل جهدٍ ممكنٍ، حفاظاً على طاقته لاستثمارها في أشياء أخرى. وتهيمن أفعال الموظف في عددها على فعلٍ وحيدٍ ويتيمٍ قام به السارد؛ "تشاغلتُ". إنه الاحتفاء بالمظاهر المزيفة، والاختفاء داخل عَباءة الزهد والتقوى، لإخفاء ذاتٍ عليلةٍ تَتَمَلَّصُ من أداء واجبها.

يقول السارد في نص "فتوى":

«سرقوا أموال الشعب.. وقفوا أمام القاضي.. أنكروا..

ذَابَتْ خيوطُ البَيِّنَةِ..

صَدَرَ الحكم بأداء اليمين، فحلفوا..

سألوا أهل العلم في شأن الكفارة..

أَفْتَوْا: على سارق المليار أن يطعم واحداً، وعلى

سارق العشرة إطعامُ عشرة»[1].

تُنْعَتُ القصة القصيرة جدا بأنها إبداعٌ مراوغٌ وخاطفٌ ووامضٌ، تَأْبَى الانصياع؛ لأن المبدعَ بين نارين، مطالبٌ باقتناص حالةٍ إنسانيةٍ خاطفةٍ وموحيةٍ، ومطالبٌ، في الآن نفسه، تصويرها باقتضاب شديد وببلاغة، بهدف الوصول إلى المقاصد والغايات، دون غموض أو ألغاز.

يملك القاص عبد السلام بوزمور ذاك الحدْسَ الإبداعِيَّ لحل معادلة القصة القصيرة جدا، ولعل نصَّ "فتوى"، مثل باقي النصوص الأخرى، خيرُ دليلٍ.

[1] جراب الخيبات، مصدر مذكور، ص 20.

يحكي السارد، بضمير الغائب "هم"، قصةَ محاكمةِ ناهبي أموال الشعب، في مجلس قضاءٍ صوريٍّ، شبيه بمسرحيةٍ هزليةٍ رديئة الإخراج. تتماها صور الشخصيات أو الممثلين؛ سارقوا الأموال، والقاضي، وأهل العلم، في مجلس القضاء وتتداخل مع بعضها، فتبدو في صورةٍ واحدةٍ، كلُّهم جناة ومتهمون ومتواطئون، بينما تُغَيَّبُ صورة الضحية؛ الشعب، تماما عن أطوار المحاكمة.

مرت المحاكمة سريعةً وخاطفةً، كأنها جرت تحت جنح الظلام، فلا وجود للضحية ولا لهيئة الدفاع. باستثناء الشهود؛ أهل العلم الذين تم اختيارهم بعناية، لإصدار فتوى، لم يسبقهم أحد فيها. كما نلفي عبارات القصة سريعةً هي الأخرى، جملٌ فعليةٌ قصيرةٌ ومقتضبة؛ سرقوا، وأنكروا، وحلفوا، وسألوا، وأَفْتَوْا. إنه تساند فنيٌّ وذكيٌّ الذي أحدثه القاص، بين نهب أموال الشعب والمحاكمة الخاطفة، وبين صيغ القصة وسرعة حَبْكَتِهَا. أفعالٌ تحيل إلى أن الفاعل واحد لا ثاني له، فالذي سرَقَ هو من أنكر ومن حلف ومن سأل ومن أفتى.

تثير محاكمة لصوص الأموال السخرية، سواء في سرعة إجرائها، أم في أطراف متقاضيها، أم في حكمها النهائي. اسْتُهِلَّتِ القصة بفعل السرقة، بالرغم من إسناد ضمير الغائب إلى الجناة، إلا أنهم معروفون، بدليل وقوفهم أمام القاضي. بيد أنهم أنكروا التهمة، فتسير أطوار المحاكمة سيرا طبيعيا، أو هكذا يراد لها؛ إذ يؤدي المتهمون اليمين، ويستشار أهل العلم فيفتون بفتوى ما أنزل الله بها من سلطان. إنه حكم يذكرنا بقرارات محاكمنا؛ درهم رمزي، عن مليارات نهبت. كما يذكرنا أيضا بقول أحدهم، دون أدنى خجل، وأمام الملإ: "عفا الله عمَّا سلف".

يُحْسِنُ القاصُّ عبدُ السلام بوزمور اختيار عناوين قصصه بدقة وبذكاء؛ إذ تتساند العناوين بمضامين القصص تساندا يحدث أثرَه المنشود. حينما نقرأ عنواناً ما تتبادر إلى أذهاننا معانٍ وإيحاءاتٍ كثيرة، وحينما نتدرج في قراءة النصوص بتمعنٍ، نلفي أنفسنا أمام تناسق فني. بتعبير آخر، يمكن عد

العنوان بمثابة علامة يوجه التأويل، وبالقدر نفسه، يغني بنية القصة جمالياً وفنياً. وهذا ما نلمسه في قصة "إسقاط". يقول السارد:

«تَعَلَّمَ من تدرجه الوظيفي، حتى أصبح مديرَ شركةٍ كبيرةٍ، أنَّ الخبرةَ مطلوبةٌ في كلِّ شيءٍ.. لما عَزَمَ على إكمالِ نصفهِ الآخر، اختارَ امرأةً في عمْرِ أمِّهِ»[1].

يحكي السارد قصة موظف حقق نجاحاً مِهْنِيّاً؛ إذ أضحى مديرَ شركة كبيرة، بفضل خبرته وتعلمه التدرج الوظيفي. أراد هذا الموظف أن يمتد نجاحه إلى حياته الاجتماعية فاختار امرأةً في عمر أمه، انطلاقا من المبدأ الذي يؤمن به؛ الخبرة والتمرس.

إذا تأملنا حكاية الموظف نجدها تنفصل إلى مرحلتين، الأولى نجاحٌ باهرٌ مِهْنِيّاً، صاغ السارد عباراتها بشكل مباشرٍ وواضحٍ لا التباس في معانيها. بمعنى؛ أن ما حققه الموظف مقبولٌ ومحبَّذٌ، إذا كان بالطرق السليمة والمشروعة. والثانية عَزْمُ الموظف الزواج. إلى حدود الآن كلُّ شيءٍ طبيعيٌّ ومألوفٍ. فالقارئ، ربما، معجب ومنبهر بحياة هذا الموظف، فما حققه نبتغيه جميعاً ونسعى للوصول إليه. بيد أن العبارة الأخيرة في النص القصصي، "اختار امرأة في عمر أمه"، تخرق أُفُقَ انتظارنا جميعاً، فتهتز صورةُ الموظف المثالية التي تشكلت في أذهاننا، ثم نبادر إلى التأمل في العنوان من جديد، "إسقاط"، هذا هو مبدأ الحياة عند هذا الموظف؛ قياس النجاح في مجال ما على مجال آخر. بعضنا قد يرفض اختيار الموظف، وينظر إليه بمثابة سلوك مفارق، لأن بإمكانه أن يختار امرأةً تقارب سنه، أو تتجاوزه بسنوات معقولة. وبعضنا الآخر، ينظر إلى اختيار الموظف نظرة سوية، دون أدنى

[1] جراب الخيبات، مصدر مذكور، ص 53.

استغراب. هذه هي المفارقة، فما يشكل مفارقةً بالأمس قد لا يكون كذلك في هذا اليوم، والموقف الذي يستدعي المفارقةَ عند بعض الناس، قد يكون اعتيادياً عند غيرهم.

تحاورُ بعضُ نصوص المجموعة نصوصاً أخرى من الإبداع الإنسانيّ، كما تحاورُ شخصياتٍ تاريخية أو أسطورية أو دينية تركت أثراً خلفها. بيد أن هذه المحاورة لم تكن من قبيل الترف أو الاستعراض، بل يمكن عدها تقنيةً أغنتِ النصوص إيحاء، بقدر ما أسهمت في شَحْذِ مخيلة القارئ.

يقول السارد في نص "غوغول":

«في قاعةٍ شِبْهِ فارغةٍ، استمعَ إلى قراءاتٍ نقديةٍ

وقصصيةٍ..

تَسَلَّلَ خَارِجاً...

في الطريق أَلْقَى بِمِعْطَفِهِ فِي أَوَّلِ حَاوِيةِ قُمَامَةٍ»[1].

بدا النص، للوهلة الأولى، جافا، ودون إيحاء يذكر، عباراته سردية مباشرة، وقريبة إلى لغة التقرير. بيد أن وقوفنا بتأنٍ في العنوان "غوغول"، وفي كلمة "المعطف" الواردة في المتن الحكائي، تنتفي صفة الجفاف عن النص، فنلفي أنفسنا أمام إيحاءات موغلة في العمق، لها صلة بقصة موظف غوغول ومعطفه الشهير. تتقاطر على ذهننا صور "أكاكي أكاكيفتش" الموظف البسيط والفقير بمعطفه الرث المثير للسخرية، وكيف عانى كثيرا إلى أن تمكن من الحصول على معطف جديد، لم تدم فرحته طويلا، سُرِقَ منه المعطف، وبعد محاولاتٍ يائسةٍ وفاشلةٍ لاسترداد معطفه، يموت الموظف بنزلة بردٍ حادَّةٍ وحمّى شديدةٍ.

بيد أننا نتساءل ما علاقة غوغول ومعطف موظفه بالقصة؟

[1] جراب الخيبات، مصدر مذكور، ص 58.

تتبادر إلى ذهن القارئ المطلع على الأدب الروسي، صورة نيقولا غوغول بأسلوبه المميز بالسخرية السوداء اللاذعة والناقدة لعلل اجتماعية. والحال نفسه نلفيه في قصة عبد السلام بوزمور. نقد ساخر ولاذع للشأن الثقافي؛ اللامبالاة وعدم الاهتمام، هو ما يسود، فالقاعة شبه فارغة، بل يمعن السارد في سخريته حينما يشير إلى تسلل البطل خارجاً، ربما متوجسا من الأعين أن ترصده بجرم الاهتمام بالثقافة، وربما اشمئزازاً بما استمع إليه من غثاثة القول إبداعاً ونقداً، فبادر إلى إلقاء معطفه في أول حاوية قمامة، لعله يتخلص من لعنة الثقافة.

يبدو التناص متحكماً في بنية النص شكلاً ومضموناً. فعنوان القصة "غوغول" والمعطف كلاهما يومئان إلى القصة الشهيرة لنيقولا غوغول. بيد أن القاص عبد السلام بوزمور استطاع أن يستلهم من قصة موظف غوغول حدثا مثيرا يرتبط بسؤال الثقافة في مجتمعنا؛ مكانتها وحضورها وأهميتها وما الجدوى منها. وهذا الاستلهام، أو إن شئنا الدقة، التناص، الذي بنى وفقه القاص نصه

بهذا، تكون المفارقة وجها من وجوه بلاغة القصة القصيرة جدا، بحيث جعلت هذا النوع من الإبداع يبدو منفتحا ومشرعا على مقاصد متعددة ودلالات متباينة. وهو مما يحفز القارئ على التدبر والتأمل ومحاولة القبض على لحظات إبداعية ممتعة ومفيدة في الآن نفسه.

المصادر والمراجع:

– آمنة بلعلي، "القصة القصيرة جدا وتحولات ما بعد الحداثة"، مجلة فصول، المجلد (2/25) العدد 98، شتاء 2017م.

– أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، الطبعة الثانية 2001م.

– جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004م.

– جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

– د.سي ميويك، المفارقة، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1993م.

– رضا كامل، بناء المفارقة. دراسة بلاغية تحليلية، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى 2010م.

– سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1405هـ. 1985م.

– سيزا قاسم، "المفارقة في القص العربي المعاصر"، مجلة فصول، المجلد الثاني، العدد الثاني، يناير فبراير مارس 1982م.

– عبد السلام بوزمور، جراب الخيبات، مطبعة الخليج العربي، تطوان، الطبعة الأولى 2017م.

– عبد القادر المهيري وحمادي صمود، في ترجمتهما للكتاب الجماعي: معجم تحليل الخطاب، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008م.

– محمد سعيد غزالة، قاموس الأسلوبية والبلاغة، دار إلغا، مالطا، 2000م.

– محمد العبد، المفارقة القرآنية. دراسة في بنية الدلالة، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى 1994م.

– محمد عناني، معجم المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 2003م.

– مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007م.

– نبيلة إبراهيم، "المفارقة"، مجلة فصول، المجلد السابع، العددان الثالث والرابع، أبريل سبتمبر 1987م.

– نجاة علي، "مفهوم المفارقة في النقد الغربي"، مجلة نزوى، العدد الثالث والخمسون، يناير 2008م.

– نعمان عبد السميع متولي، المفارقة اللغوية في الدراسات الغربية والتراث العربي القديم، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق، الطبعة الأولى 2014م.